اشكالية المعنى في شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني الدلالة الرمزية لليل (أنموذجاً)

م. د. شيماء محمد كاظم الزبيدي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية
shamaaalzobaydyey@yahoo.com

المقدمة

النص فضاء مفتوح يحتمل التأويل والتعدد، وعلى وفق هذا التأويل تتعدد قراءات النص الواحد على صعيد العصر ذاته الذي نشأ فيه النص، وربما تتعداه الى العصور اللاحقة لعصر نشأته.

كيف وهذه الحال مع النص الجاهلي الذي يعد نصاً بوّاحاً يمتلك القدرة على إثارة الدارسيين ومن ثم حثهم على قراءته مرة بعد أُخرى رغبةً في الوقوف على علاماته ووظائفه الشعرية لا لكونه يتسم بالتمويه والغرابة ولكن لأنه كما هو ملحوظ متربعٌ على محور الكون الشعري؛ فهو يضع الدارسين أمام تحدّيات كبيرة ومتعددة في الكشف لغزارة دلالاته وعميق موضوعاته.

وفي هذا البحث نحاول تسليط الضوء على إحدى الوحدات التعبيرية التي تتجلّى فيها الاشكالية بوضوح وهي (الدلالة الرمزية) إذْ احتلت هذه الوحدة مكانة في الخطاب الشعري الجاهلي إلى جانب العديد من الوحدات التعبيرية الأخرى المفعمة بدلالاتها المعنوية وإيحاءاتها الصورية.

وهذه الوحدات مهما عظم أو صغر حجمها على السواء تظل حاملة لأسباب ديمومتها وأسرار انبعاثها على نحوٍ يبيّنه سياقها الشعري الذي تنتظم فيه والذي تَشكّل عبر خصائص توصيلية أسهم في اكتمالها كل من الشاعر (الباث) والمتلقي (المُستَقبِل) معاً.

والبحث قد ورد على محورين هما:

الاول: مدخل لفهم اشكالية المعنى.

الثاني: توضيح لمفهوم الدلالة ومفهوم الرمز وعلاقة كُلٍّ منهما بالآخر على اعتبار أنَّ البعد الدلالي الرمزي محورٌ لرصد الاشكالية متمثلاً بدلالة رمزية معينة هي (الدلالة الرمزية لليل) عند شاعرين من فحول الشعراء في الجاهلية ، هما أمرؤ القيس الذي يعد الحاضنة الثقافية لهذا الصرح الضارب والشاعر الآخر هو النابغة الذبياني.

ثم الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: اشكالية، الشعر الجاهلي، الوحدات التعبيرية، دلالاتها المعنوية، ايحاءاتها الصورية.

Abstracts

The text is an open space could have the probcebility of interpretation, and multiplicity. According to this interpretation, the readings of a certain text could be multipled within the era at which the text composed, it may be also mulipled within the eras that tollow. So what about this case regarding the jahili text, which considered as a revealing text, having the ability to evoke the readers then to urge them to read it many times, desiring to reveal its signs and poetic functions, Not because as specified, disguised and otrange, nut because as it is noticed where the text dominating on the pivot of poetic universe. The text put the readers upon great and multiple challenges to reveal. That is because the text got copious connotations and deep themes.

The research intends to highlights one of the expressive units, in which the problem revealed clearly, since it is ((symbolic connotation)) that occupies a

respected spot in the jahili poetic discourse, beside to many other expressive units that is full of it's moral connotations and picturesque intimations .
Key words: Problematic, pre-Islamic poetry, expressive units, the moral implications, hints Alorih

اولاً: مفهوم اشكالية المعنى

إنَّ المعنى الواحد لم يعد قائماً على نحوٍ حاسم في العبارة الأدبية بل بات ينتقل في مواضيع مختلفة[١] ليس من البساطة تحديد المعنى فيها بما يحمله المؤلف في ذهنه ولا هو مجرد خصيصة للنص او تجربة القارئ بل انه تجربة فاعل وخصيصة نص[٢]. فأحياناً نورد المعنى المنطوق الذي قصده المتحدث، وأحياناً نشير إلى مايكمن في خفايا النص، نقول أحياناً اخرى إنّ السياق يحدد المعنى، وأحياناً نعزوه إلى تجربة القارئ، انه معقد ومتداخل ومن الصعب تحديده من قبل عامل واحد[٣]

وهذا الأمر يحيلنا على الأصل اللغوي لمصطلح الاشكالية وهو "ما استشكل الأمر: التبس وعليه: أورد علي اشكالا (...) والإشكال: الامر يوجب التباساً في الفهم"[٤].

وهذا الفهم يفتح آفاقاً لمدلولات جديدة تنبثق من حقول اشتغال عديدة يتركز معها مفهوم الاشكالية ليكون "القضية التي تجمع بين المتناقضات"[٥].

وعلى أساس هذا يمكن القول أنَّ مفهوم إشكالية المعنى ينبثق من "الرغبة في تقديم رؤية مختلفة في القراءة، إذ إنّ النصوص الشعرية تتسم بقدرتها على أنْ تكون قابلة لقراءات متعددة، إذ تقف كل قراءة على بعد في النص لم يقف عليه الآخرون"[٦].

ويرى البعض أنّ "العمل الفني لاينضب معينه ولاتنتهي قراءته، فالمتلقي حين يعاود قراءة العمل يزداد سعة في معرفته، وتتكشف له أسرار لم تتكشف في القراءة السابقة، وحين يوجّه رموزه وعلاماته. يميل إلى توجيه ما، وحين يمسك ذلك العمل شخص آخر قد يوجه تلك العناصر توجيهاً ينسجم وأدواته المعرفية، فيخرج بتأويل مختلف نسبياً – أو كثيراً– عما سبقه من تأويل"[٧]. لذا فأن قراءة النص الشعري تتطلب من (القارئ) جهداً موازياً لجهد الشاعر في نصه ورؤيا مقاربة لرؤياه.

وبهذا تكون رؤيا الشاعر في نصِّه قاسماً مشتركاً بينه وبين القارئ فيثير النص في القارئ نظير ما أثاره في مبدعه تجارب خاصة الا انها متعددة على تعدد القرّاء وتنوع تجاربهم فيصبح كل من القارئ والمبدع شريكين في استلهام المعنى وترتيب عناصره، وتشكيل علاقاته، وتمثّل أبعاده، ويسفر عن هذا الأمر تحوّل في الرؤيا من

---

[١] ينظر: امرؤ القيس الكنعاني (قراءات في شعر عز الدين المناصرة)، اعداد وتحرير عبد الله رضوان، مؤسسة شومان، الاردن، ط١، ١٩٩٦: ٢٩٣.

[٢] ينظر: اللغة والمعنى والتأويل، جوناثان كلر، مجلة الاداب الاجنبية، دمشق، ع١٠٩، ٢٠٠٢: ٢٧.

[٣] ينظر: اللغة والمعنى والتأويل: ٢٥.

[٤] المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٤٩١/١.

[٥] معجم المصطلحات الادبية الحديثة، محمد عناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦: ٨.

[٦] النص وإشكالية المعنى، عبد الله محمد العضيبي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩: ٤٩.

[٧] بحث بعنوان (النص الشعري والتأويل)، د. سامح الرواشدة، ضمن كتاب (جرش ٩٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠: ١٧١.

الذاتية الى الموضوعية مما يساعد المتلقي والناقد –أيضاً– على الدخول إلى عوالم الذات البشرية واستنفار ما فيها من مُخبَّأ او مستور[١] .

وهذا يؤدي بطبيعة الحال الى "إمكانية تجديد الرؤيا تبعاً للتجديد المستمر في العقول عن طريق تطوير الثقافة، وصقل الاذواق وتحصيل المعارف المبتكرة كل يوم. فالشعر ذو معنى يتجدد بمرور الايام، لان العقول التي تستنطقه يختلف بعضها عن بعض لاختلاف الازمان والعصور"[٢].

ودراسة الشعر الجاهلي على وفق رؤى الحداثيين "تبشر بتواصل حميم مع التراث(...) تجعل من الشاعر نموذجاً للابداع الإنساني الباقي، يستوي في ذلك البدائي والحضري"[٣]، مما يجعل الشعر "ثمرة البداوة والحضارة معاً؛ لأنه نتاج اللحظات الخصبة التي يعرفها كل جيل"[٤].

وللشعر معنى خالد يدرك منه كل جيل قدراً يتناسب وعقليته ويتوافق مع درجة احساسه بالاشياء الا أنّ خلود هذا المعنى لايفسر على أنه تحجيم للمعنى الشعري بل إنَّ هذا الامر يجعل المتلقي حافزاً لاستنفار المعنى الابعد لمعاني الشعر[٥].

وقد اكتسب مصطلح الاشكالية أساساً معرفياً شاملاً طال كل الحقول المعرفية وتدخل في كل المعطيات الفكرية لذا فهو مصطلح معرفي متعدد، اتصاله الوثيق يكمن في المعنى، إذ "إن اشكالية المعنى المتعدد لم تعد اليوم إشكالية التفسير بمعناه الديني او حتى بمعناه الدنيوي فقط، إنما هي في ذاتها إشكالية ذات طابع يخص فروعاً علمية متعددة"[٦].

وهذا الامر يحيل على القراءة البشرية أو المقاربات النقدية الواعية وهي من أهم الاسباب التي جعلت من المعنى الادبي متنوع المظاهر، مختلف الانماط"[٧]. لذا فإنّ هذا التنوع هو ما يجعل المعنى الأدبي خصباً ومتفرداً في الوقت ذاته وقادراً على ان يلم بكل خصائص العملية الإبداعية[٨] إلا أنّ تنوعه لايكون بالضرورة متصلاً –في تفسيراته– بالمعنى الذي كان يعلقه الاديب في ذهنه تعليقاً واعياً[٩].

وبعد أنْ حددنا مفهوم (اشكالية المعنى) سنحاول في الصفحات اللاحقة توضيح الدلالة الرمزية لليل عند كل من امرئ القيس والنابغة الذبياني، يسبقها تعريفٌ بمفهوم الدلالة ثم مفهوم الرمز، ومن ثم توضيح العلاقة بين المفهومين معاً.

---

[١] ينظر: جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، د. عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ٢٣.

[٢] المصدر نفسه: ٣٥.

[٣] المصدر نفسه: ٣٦.

[٤] قراءة ثانية لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار النجاح، بيروت، د.ط، ١٩٧٣: ١٨.

[٥] ينظر: جماليات المعنى الشعري: ٣٦.

[٦] ليل المعنى في الكتابة والنقد، مصطفى الكيلاني، مجلة الفكر العربي، مركز الانماء القومي، بيروت، ع١١٦-١١٧، ٢٠٠١: ٩٣.

[٧] فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر، المشرق العربي (١٩٤٥-١١٩٠)، لواء عبد الله عبد المنعم الفواز المسعودي، اشراف الدكتور سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للبنات، ٢٠٠٠: ٦٦.

[٨] ينظر: اشكالية المعنى في الشعر العربي الحديث –دراسة في المتن السيابي، يحيى شايف ناشر الجوبعي، اطروحة دكتوراه، اشراف أ.د. ابراهيم جنداري جمعة، جامعة الموصل، كلية التربية، الموصل، ٢٠٠٣: ٢٩.

[٩] ينظر: دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف، دار الاندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١: ١٣٥.

ثانياً: العلاقة بين مفهومي الدلالة والرمز، دراسة تطبيقية لرصد الاشكالية :

* مفهوم الدلالة :

وله جملة من التعاريف فبعضهم يراه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو هو فرع من علم اللغة يتناول دراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى [١] . والتعريف الأخير يجعل لعلم الدلالة موضوع قوامه أي شيء أوكل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز ربما تكون علامات أو رموز بعضها يأخذ حيّز الإشارة مثل إيماءة الرأس وبعضها الآخر يأخذ صورة كلمات وجمل. وعلم الدلالة في حقيقته يركّز على دراسة الرموز اللغوية على اعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان على الرغم من إهتمامه بالرموز الواقعة خارج النطاق اللغوي[٢].

* مفهوم الرمز

الرمز "يعبر بدوره عن شيء ما، او يشتمل على مدى من الدلالات تتجاوز حدود ذاتها"[٣].ويرى البعض أنّ الرمز في إجماله مشاعر عميقة ينبع منها العمل الفني[٤]، ومنهم من يرى ان كلمة ما تحتفظ بقدرتها على اثارتنا فهي لاتزال رمزاً، أما إذا فقدت هذه القدرة فإنها تتدهور وتصبح مجرد إشارة[٥].

وربما يحيلنا هذا الأمر على قول ابن طباطبا حول اشعار العرب قديماً "ربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم، في حالات يضعونها في اشعارهم، فلا يمكنك استنباط ماتحت حكاياتهم، ولاتفهم مثلها الا سماعاً فإذا وقفت على ما أراده لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك"[٦].

وزيادة على ذلك إنَّ الرمز يعطي ميزة (التنوع والشمول) للنص الأدبي فمن الممكن التعبير عن معنى واحد بلغات مختلفة او التعبير عن فكرة ما في حدود لغة واحدة بمصطلحات مختلفة[٧].

لذا فان علم الرمز يضم كثيراً من فروع علم اللغة ومنها الدلالة وهو من الناحية الدلالية أعم من علم الدلالة لأن الأخير يهتم بالرموز اللغوية فقط، أما علم الرمز فهو يهتم بالعلامات والرموز لغوية كانت ام غير لغوية [٨]. وإذا ما أردنا تطبيق هذه الموضوعة (الدلالة الرمزية) على القصيدة الجاهلية تطالعنا نصوص كثيرة ارتأينا منها استكناه (الدلالة الرمزية لليل) عند الشاعرين امرئ القيس والنابغة الذبياني كأنموذجين لهذا الكم من النصوص الجاهلية، علماً أنَّ هذه الدلالة قد تختلف من قراءة الى أُخرى، فربما تكون عند أحد الشاعرين ذات مقصود معين قد لاتكون عنده في موضع آخر من شعره، وأحياناً كثيرة قد لاترد على الدلالة الرمزية ذاتها عند

---

[١] ينظر: علم الدلالة، أ.د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٩: ١١.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١١-١٢.

[٣] في حداثة النص الشعري-دراسة نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، الاردن، ط١، ٢٠٠٣: ٤٥.

[٤] ينظر: بحث في علم الجمال، جان برتليمي، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار النهضة، مصر، د.ط. ١٩٧٠: ٥٦٧.

[٥] ينظر: نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥: ٤٥٩.

[٦] عيار الشعر، محمد بن أحمد بن طبابا العلوي، تح: طه الحاجري، محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٦: ١١٠.

[٧] ينظر:جماليات النص الادبي دراسات في البنية والدلالة، د. مسلم حسب حسين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢٠٠٧،١: ٨١.

[٨] ينظر: علم الدلالة: ١٥.

آخرين فـ " الليل ذلك المجهول الاعظم الذي وقف عنده الأدباء والفلاسفة متأملين"[٢] لـه من الدلالات ما يقف الادراك عاجزاً امام اللاحدودها.

فهذا أمرؤ القيس يورد لفظة (ليل) ما يقارب عددها سبعاً وثلاثين (٣٧) مرة في ديوانه موّزعة بين (ليل، ليالي، ليلة) [١]. إلا أنَّ الدلالة الرمزية لليل لديه ترها تتحقق في عدد من قصائده ومنها قوله في قصيدته (قِفا نبك) [٢]:-

وليـل كمـوج البحـرِ أرخـى سـدولَهُ عليَّ بانـواعِ الهمـوم ليبتلـي
فقلـتُ لـه، لمـا تمطـى بصلبـه وأردفَ أعجـازاً ونـاءَ بكلكـلِ
الا أيّهـا الليـل الطويـل ألا أنجلـي بصـبحٍ ومـا الاصـباحُ منـكَ بأمثـلِ
فيالـك مـن ليـل كـأن نجومـه بـأمراسِ كتـانٍ الـي صُـمِّ جَنْـدَلِ

ويروى [٣]:

فيالـك مـن ليـل كـأن نجومـه بكـل مُغـار الفتـل شُـدِّت بيذبـلِ
كـأنَّ الثريـا عُلِّقَـتْ فـي مضـامِها بـأمراسِ كتَّـانٍ الـى صـمَّ جَنْـدَلِ

فالشاعر في هذه الأبيات يربط " بين السكون الذي يحسّه في نفسه وبين سكون الليل، وبين وحشته ووحشة الليل، بين الحياة التي تنبض في عروقه والنجوم الحية النابضة في سديم الليل" [٤]. فالليل بطوله " يُنبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولّد منها"[٥]. وإمتداد الليل ماهو إلاّ دلالة رمزية على إمتداد معاناة الشاعر واستمرار لمقاساته للأحزان.

لذا فأنَّ الليل عند الشاعر يتحوّل إلى ليل نفسي ذاتي مليء بالهموم والآلام، ويشكّل مصدر ابتلاء ومحنة الشاعر[٦]. وهو عنده دلالة رمزية " للوحشة والرهبة والخوف (...) والموت عند إقباله وهو الحياة والأمل والسعادة عند إدباره وإنبلاج فجره"[٧]. ويراه "أثباج موج متلاطمة تسبب له الخوف والعناء. ونلحظ أنّ الشاعر يعمد الى أنسنة الليل لعله يجد صوتاً متجاوباً مع رغبته في الخلاص من إسار الزمن، بيد أنَّ طلب الشاعر أو تمنيَّه بالجلاء الليلي ينمّ على حلم بزوال عالم الظلام وظهور عالم الضياء"[٨].

---

[٩] العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية، أ.د. عمر محمد طالب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،د.ط، ٢٠٠٠: ٢٨.

[١] ينظر ديوان أمرئ القيس، حققه وبوّبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، د.ط، ٢٠٠٥: ٥٧، ٦٤، ٩١، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٧، ١٤٧، ١٧٦، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٧٨، ٣٠٠، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٨، ٣٧٥، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٠٨.

[٢] الديوان نفسه: ٤٢-٤٣.

[٣] الديوان نفسه: ٤٣.

[٤] العزف على وتر النص الشعري:٢٩.

[٥] ديوان امرئ القيس:٤٢.

[٦] ينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهل نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن ،ط١، ٢٠٠٤: ٢١١.

[٧] العزف على وتر النص الشعري: ٢٩.

[٨] جماليات التحليل الثقافي: ٢١١- ٢١٢.

وكأن ليلة " حيوان خرافي عظيم الخلقة، لعله من مخلفات الأساطير القديمة والعبادات الوثنية. وكأن هذا الحيوان الخرافي الهائل يجثم على صدره ويضيق تنفسه ويشعره بدنو أجله أو دنو الموت منه"[١]. وفي هذا الأمر نلحظ أن ثمة علاقة بين دلالة الرمز والأسطورة علماً " أن الرمزية ليس ضرورياً أن تنمّ دائماً عن الأسطورة على نقيض الأسطورة التي تشكّل دائماً جزءاً من الرمزية"[٢] .

فالليل بوصفه زمناً عند أمرئ القيس أضحى معادلاً لوضعه النفسي، إذ لم يعد زمناً عادياً بل أصبح زمناً انفعالياً بسبب قسوة الحياة وقسوة الزمن أيضاً.ويعزز الشاعر إحساسه النفسي المعادل لحال الليل ما أورده في قصيدة له يصف فيها ليلة من لياليه قائلاً[٣]:

أرِقـــــتُ فقلـــــتُ فـــــي أرَقِ العِـــــدَادِ
عِـــــداد مَـــــولَّهٍ أرِقِ السهـــــــادِ
فبـــــتُ بليلـــــةٍ بَثَّـــــتْ هُمُـــــومي
بهـــا، مـــن طـــولِ حالكـــةِ السّـــوادِ
رعيـــتُ نجومَهـــا حتَّـــى اســـتقلَّتْ
تواليهـــا بغيـــرِ سيـــاقِ حَـــادِ
أُشـــبِّهها مقـــاوِلَتي وقـــومي،
إذا لَبِســـوا الســـنوَّر للجـــلادِ

والدلالة الرمزية لليل في شعر امرئ القيس ربما لاتكون هي ذاتها أعلاه في مكان آخر في شعره فقد تدل على رضاء النفس عند الشاعر فيرى ليله مُسْتَأنَساً باعثاً على التفاؤل في الروح ومثل هذا الأمر يطالعنا في قوله:[٤].

وقـــد أتمنـــىّ فـــألقي المُنـــى،
وقـــدْ يُصْـــبِحُ الليـــلُ عنـــدي حَمِيـــدا

وكذا الحال مع الشاعر (النابغة الذُبياني) فعلى الرغم من إيراده للفظة (ليل) في ديوانه موزّعه– مثل أمرئ القيس– بين (ليل ، ليالِ، ليلة) وما يقارب عشرين (٢٠) مرة[٥]، إلا أنَّ الدلالة الرمزية لليل قد تشكّلت في قوله[٦]:

كلينـــي لهـــمٍّ يـــا أميمـــة نَاصـــبِ — وليـــلِ أقاســـيه بطـــيء الكواكـــبِ
تطـــاول حتـــى قلـــتُ: لـــيس بمـــنقضٍ — ولـــيس الـــذي يرعـــى النجـــوم بآيـــب
وصـــدرٍ أراح الليـــلُ عـــازِبَ هَمِّـــه — تضـــاعف فيـــه الحُـــزنُ مـــن كـــلّ جانَـــبِ

---

[١] العزف على وتر النص الشعري:٢٩.

[٢] حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي،د. ريم هلال، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ١٩٩٩:٥٧.

[٣] ديوان أمرئ القيس : ٣٢١.

[٤] الديوان نفسه: ٣٤٧.

[٥] ينظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ط٣، ١٩٩٠: ٣٣، ٤١ ، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٨٣، ١٠١، ١٠٧، ١٢٠، ١٣٥، ١٣٩، ١٦٤، ١٨٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٢.

[٦] الديوان نفسه: ٤٠–٤١.

علـــيَّ لعمـــر ونعمـــةٌ بعـــد نعمـــةٍ لوالـــــده ليســـــت بـــــذاتِ عقـــــاربِ

فالنابغة في ليله يشير إلى الدلالة الرمزية لعالم السلطة السياسي القاسي الذي طالما اكتوى الشاعر بناره وهو لايستسلم لهذا العالم السلطوي وإنما ينخرط فيه بفعل قوة الحب الموجّه إلى (أميمة).

وهذا العالم السياسي في رؤية النابغة عالم سلبي سوداوي تنعدم فيه جذوة الحياة والنور[١] كما هو واضح في الشطر الثاني من البيت الأول، وهو عالم مسبب للحزن والهموم نتيجة تطاولة ، لذا فإن دلالة الليل عنده تكون مقترنة بتصوره لتسلط السلطة السياسية وجبروت وجودها الزمني، ويتجسد هذا الأمر عن كثب في إعتذاريته من النعمان بن المنذر، قائلاً[٢]:

فإنـــك كاللّيـــل الـــذي هـــو مُـــدْرِكي وإن خلـــتُ أنَّ المنتـــأى عنـــك واسِـــعُ

ومما سبق نتبيّن أن الشعر الجاهلي– كما يراه عدد من الباحثين– حافل بالكثير من الدلالات الرمزية، فالمرأة ترمز إلى الشمس وكذلك الفرس، والناقة رمز إلى الإرادة الإنسانية التي تقتحم الأهوال من أجل تحقيق الآمال ، والثور الوحشي رمز إلى القوة التي تحتمل قسوة القدر وأذى الآخرين، والطلل يرمز إلى ما تخلفه رحلة الشمس على الإنسان[٣].

إذ الصورة الطلليّة على سبيل المثال لم تعد " مجرّد وقوف على الدمن والرسوم وإنما هي في الوقت نفسه وقوف على الشخصية الإنسانية المقهورة ورثاء للحضور الإنساني الذي هزمته البيئة في نهاية الأمر ، إنها تصوير للصيرورة المحزونة التي تعجز فرداً كان أو جماعة عن الإفلات من قبضتها" [٤]، ويتجلّى هذا الأمر في قول أحد الشعراء[٥]:

ألا، ياديـــــــار الحـــــــيّ، بـــــــالبردانِ خلـــت حِجَـــجٌ، بعـــدي، لهـــن، ثمـــاني

فلـــم يبـــقَ، منهـــا، غيـــر نـــؤي مهـــدم وغيـــــرُ أوار كـــــــالريحيّ، ودفـــــــانِ

فما نلحظه في أبيات الشاعر أن دلالة الطلل لم تعد " محض تقليد فني فرضته التقاليد التراثية (...) إنها أكثر من رمز شعري ، إنها الرموز المتجددة في ذهن الشاعر والتي تعبر عن ارتباطات شتى ومكونات عديدة وتصورات مختلفة ذهنية وعقلية ونفسية واجتماعية ترتد جميعها إلى عالم الذكريات، وهي باختصار رمز أضمر كل ماتنطوي عليه الأعراض وتتجه إليه المقاصد"[٦].

وزيادة على ذلك أن من الباحثين مَنْ يجد أن أسماء النساء قد تناولها الشاعر الجاهلي على نحو دلالي رمزي فأوحت سلمى بالدلالة الرمزية للحب العفيف ، وسعاد بالربيع، وأم أوفى ومن جاء على شاكلتها بسيدة الحكمة ولا تخاطب إلا في الأمور الجليلة التي يحتاج فيها المرء إلى سعة الصدر[٧]، الى آخر الرموز والدلالات وتنوّعها وتشاكلها كُلّ بحسب مقام وروده في النص بالتوافق مع رغبة الباث في طرحه.

---

[١] ينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً: ٢١٣.

[٢] ديوان النابغة الذُبياني:٣٨.

[٣] ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى، عمان، د.ط، ١٩٧٦: ١٢٣ ، ١٣٠، ١٤٠، ١٦٨، ١٦٩.

[٤] في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمود خليل، دار الفكر ، دمشق ، سوريا، ط١، ١١٩٩٦: ١٤٧، وينظر: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة، مكتبة الكتاني، أربد– الأردن، د.ط، ٢٠٠٠: ١٣٥.

[٥] شرح اختيارات المفضل الضبي، صنعة التبريزي، تح: فخر الدين قباوه، بيروت، د.ط، ١٩٨٧: ١١٤٨–١١٥٠.

[٦] دراسات نقدية من الشعر العربي،د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢: ٣٧.

[٧] ينظر: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: ١٤٦، ١٤٩، ١٥٤.

الخاتمة

إنَّ تتبعنا لهذا الموضوع جعلنا نصل إلى أنَّ إشكالية المعنى قد انفرجت عن قراءات منوعة للنص الشعري الجاهلي على نحو ما ألفيناه في تحليل الدلالة الرمزية لليل عند كل من امرئ القيس والنابغة الذبياني، وهذه القراءات على الرغم من تعدد المعنى فيها، ربما يغادر الشاعر معها مقصوده في نصٍ ما إلى آخر للشاعر نفسه، وربما يتعداه إلى غيره من الشعراء المعاصرين له.

ويكمن السر في ذلك إلى أنَّ لكل باحثٍ في متن النص الشعري أدواته المعرفية التي تتفق ورؤيته الخاصة في هذا النص الشعري أو ذاك.

وعلى وفق ما هو سائد من نظريات نقدية فإنّ النص الشعري قد أصبح فضاءً رحباً يحتمل التأويلات العديدة والمنوّعة ويفجّر طاقات المعنى الشعري، الأمر الذي يسهم في تقدّم العملية الابداعية وازدهارها، ويسهم بشكل فعّال في نمو الخطاب الشعري.

المصادر والمراجع

١- امرؤ القيس الكنعاني (قراءات في شعر عز الدين المناصرة)، اعداد وتحرير عبد الله رضوان، مؤسسة شومان، الاردن، ط١، ١٩٩٦.
٢- بحث في عالم الجمال، جان برتليمي ، ترجمة: أنور عبد العزيز، دار النهضة، مصر، د.ط، ١٩٧٠.
٣- جماليات التحليل الثقافي في الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاردن، ط١، ٢٠٠٤.
٤- جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)، د. عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
٥- جماليات النص الادبي دراسات في البنية والدلالة، د. مسلم حسب حسين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١،٢٠٠٧.
٦- حركة النقد العربي الحديث في الشعر الجاهلي، د. ريم هلال، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، ١٩٩٩.
٧- دراسات نقدية في الشعر العربي، د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.
٨- دراسة الادب العربي، مصطفى ناصف، دار الاندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
٩- ديوان امرئ القيس، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته: حنّا الفاخوري، دار الجبل، بيروت،د.ط، ٢٠٠٥.
١٠- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٧٧.
١١- شرح اختيارات المفضل اضبي، صنعة التبريزي، تح: فخر الدين قباوة، بيروت، د.ط، ١٩٨٧.
١٢- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصى عمان، د.ط، ١٩٧٩.
١٣- العزف على وتر النص الشعري دراسة في تحليل النصوص الادبية الشعرية ، أ.د. عمر محمد طالب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠.
١٤- علم الدلالة، أ.د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٩.
١٥- عيار الشعر، محمد بن احمد بن طبابا العلوي، تح: طه الحاجري، محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ط، ١٩٥٦.

١٦- في حداثة النص الشعري- دراسة نقدية، د. علي جعفر العلاق، دار الشروق، الاردن، ط٣، ٢٠٠٣.
١٧- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، د.احمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط١، ١٩٩٦.
١٨- قراءات اسلوبية في الشعر الجاهلي، د. موسى ربابعة، مكتبة الكتاني، اربد-الاردن، د.ط، ٢٠٠٠.
١٩- قراءة ثانية لشعرنا القديم، صلاح عبد الصبور، دار النجاح، بيروت، د.ط، ١٩٧٣.
٢٠- كتاب (جرش ٩٩)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٠.
٢١- معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦.
٢٢- المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، دار المعارف، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٦. الجزء الاول.
٢٣- النص وإشكالية المعنى، عبد الله محمد العضيبي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩.
٢٤- نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.

الرسائل الجامعية والدوريات
الرسائل
١- اشكالية المعنى في الشعر العربي الحديث -دراسة في المتن السيابي، يحيى شايف ناشر الجوبعي، اطروحة دكتوراه، اشراف أ.د. ابراهيم جنداري جمعة، جامعة الموصل، كلية التربية، الموصل، ٢٠٠٣.
٢- فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر، المشرق العربي (١٩٤٥-١٩٩٠)، لواء عبد الله عبد المنعم الفوّاز المسعودي، اشراف: د.سعيد عدنان المحنة، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للبنات، ٢٠٠٠.
الدوريات
١- ليل المعنى في الكتابة والنقد، مصطفى الكيلاني، مجلة الفكر العربي، مركز الانماء القومي، بيروت، ع١١٦-١١٧، ٢٠٠١.
٢- اللغة والمعنى والتأويل، جوناثان كلر، مجلة الاداب الاجنبية، دمشق، ع١٠٩، ٢٠٠٢.